العربي
السفير
جريدة لبنان في الوطن العربي وجريدة الوطن العربي في لبنان

الخميس 25 تموز 2013 ـ الموافق 16 رمضان 1434 هـ ـ العدد 12538

AS-SAFIR Arabic political daily – July 25, 2013 N° 12538

في «رمضانهم» نصان: بعد الخيط الأول من وجه القمر، والقوائم المتشابهة. وللتنقيب والنقاش، أسئلة حول عطب اللغة وتأثيره على الفكر. وتقديم لـ«معازف» المجلة الالكترونية المخصصة للموسيقى.
2

المرافق النفطية هدفاً إرهابياً، كلفة الحماية في السعودية تتجاوز الخمسة مليارات دولار سنوياً. ورصد دوري لسلوك صندوق النقد الدولي حيال بلدان منطقتنا. والمواطن عاشور في «الزاوية الحمراء».
3

المكرمات في بلدان الخليج أداة للحكم ولتنظيم المجتمع. و«حلم» و«بالف كلمة» تتضامنان مع يوسف عبدلكي. ونصان هامان على الموقع الالكتروني: «ثقافة الإصلاح»، و«النقب ليست قاحلة».
4

مصر بين خطوط الحرب والإقصاء والحرية

الحرب هي الوصف الأدق لما يحدث الآن في مصر، ولكنها ليست حرباً أهلية بالمعنى الدقيق. وجاءت نتائجها صريحة لتعلن هزيمة التيار الإسلامي، وكانت اللحظة الحقيقية لميلاد ذلك الحدث ليس تحرك الجيش المصري بل الشعب المصري. فهزيمة ذلك التيار تكمن في الإزاحة الشعبية لا في الإطاحة السلطوية. 30 يونيو كان إعلانا عن موت الخطاب الإسلامي الذي هيمن طويلاً على المجتمع. إلا أن الحرب لم تعد المعضلة الرئيسية أمام الثورة المصرية الآن. لأنها انتهت، بل أصبح النصر هو المشكلة. ماذا نفعل بهذا التيار الكبير المهزوم؟

لعل الحرب كانت ضرورية لدحر النزعة الفاشية التي مارسها ذلك التيار. ويلوح في الأفق الآن طريقتان للتعامل معه. الأولى ترى ضرورة إقصائه من كل المجال السياسي والعام، وفقاً لإجراءات قانونية مشددة. والثانية ترى الحرية أفضل لعموم حركة الثورة المصرية. الأولى ترى في عدم إقصاء التيار الإسلامي بالكلية فتحاً لباب عودته من جديد، وأن علينا تفهم ألم المجتمع من ذلك التيار وإحساسه بخيانته له. وبالفعل، فعلى المستوى الشعبي، هناك غصة في الحلق، ومرارة ولدت على امتداد السنة الماضية، بسبب سلف وتكبر الممارسات الاخوانية، وانحطاط الخطاب، وخسة الفعل وتكدير كل فرحة كان يمكن أن تنمو وتنعش المجتمع. وهناك دم أريق من أجل شهوة الحكم على يد جماعات مسلحة لم تتورع عن التلويح بالحرب الأهلية والتعديد بسيناريوهات الجزائر والصومال وسوريا. وتجب التفرّقة بين عمليات الإقصاء وبين ضرورة محاسبة قيادات هذا التيار وكل من اشترك في عمليات القتل والترويع والتحريض، بمن فيهم شبابه وأتباعه، وهو أمر ضروري لا تستقيم الأمور من دونه، حتى نؤسس لأفق آخر يكون فيه القتل مستقطعا والترويع محرما... وهذا من أهم أهداف الثورة ومن معايير نجاحها.

الحرية أفضل السبل

ولكن ثمة حقائق أخرى تشير إلى أنه، إذا أرادت الثورة أن تجهز على هذا التيار، فيبدو أنه من الأنجع أن تنفتح الحرية لا القمع، وفتح الساحات لا غلقها، والتحرر لا القهر، وبواسطة المجتمع لا بالدولة. وهذا لسببين رئيسين: الحرية تغلق الباب على أي فرصة للحروب من تحمل المسؤولية وأعبائها. وبالتالي لا يمكن لخطاب المظلومية أن يتفضل داخل التنظيم ولا في المجتمع، ببساطة لأنك حر وطليق. وبالتالي فلا مجال للمأساة أو القهر. الحرية والمجال العام المفتوح يفككان التنظيمات الهرمية، لأنه لا يوجد المبرر الذاتي ولا الموضوعي لاستمرار في تلك التراتبية القائمة على الانغلاق والسرية. ثم إن الحرية تسمح للفرد أن يدخل محيطات مختلفة عن حيزه الاجتماعي أو التنظيمي الضيق، وبالتالي لا يعود يُنتَج من خلال تنظيمه فقط، وفي حيزه الاجتماعي، ولكنه يصبح نتاجا لأكثر من مؤسسة ومساحة. وهو ما يكسر بالتالي عمليات التنميط السائدة في تلك التنظيمات. فأهم ما يسمح لها بالتماسك والوحدة العضوية هو تدوير الفِرَز من الخارج إلى الداخل، وإعادة إنتاجه بما يؤكد أهمية الاصطفاف أو الفناء.

تسييل الفكرة: التنظيمات الاسلامية «الجهادية»

أما بالنسبة لتنظيمات الإسلاميين الشبكية، فالحرية أيضاً كفيلة بتفكيكها. فتلك التنظيمات تقوم، أولا، على

لوحات العدد من أعمال يوسف عبدلكي (مرحلة السبعينات)

أساس بسيط هو حلول الفكرة والقيمة في الأنسجة المجتمعية من خلال خلايا رخوة. وهي بذلك تستبدل التنظيم بالقيمة، وتُحدث عملية تسييل لها بحيث يكون انتقالها أسهل. ويكون الانتساب للفكرة من خلال إعلان الولاء لها ومن خلال اعتماد التنسيق. وعوضاً عن البنية الثقيلة، والتنظيم، وتحديد أدوار وتكليفات بشكل هرمي أو «شجري»، يكون التكليف هنا بشكل تنسيقي وتشاركي. وهذه النوعية من التنظيمات الإسلامية هي الأخطر، وهي كثيرة ومتعددة. فداخل الطيف الواسع لتيار السلفية الجهادية حركات تولد وتموت، مثل «حركة حازمون» و«الجبهة السلفية»... الخ. أما خارج مصر، فكل تنويعات تنظيم القاعدة ليست خاضعة بالضرورة للتنظيم الرئيسي في أفغانستان، بل ربما لا تكون لها أي علاقة تنظيمية به غير الانتماء لمنظومة القيم نفسها، والنهج التنفيذي، والتصعيد المتبادل للتحركات المشتركة. وتلك الحركات في مصر هي الأقرب لطبيعة الثورة المصرية، وقمعها أو محاولة قمعها يؤدي إلى انفجارات وإعادة تشكل لخلاياها بشكل متواصل. ولا يوجد ما هو أفضل من الحرية للتعامل الإستراتيجي مع تلك التنظيمات، خاصة أنها تشكيلات ذات طبيعة ثورية وراديكالية. فقيمها دوماً مستمدة من وضع فيه قهر خارجي، تحاربه وتستبسل في مقاومته. ووعد هذا الخطاب بتمحور دائماً وأبداً حول الكرامة والعزة، وهي أمور إيجابية. واحترام هذه القيم وتوفيرها لهم ينزّع من أيديهم فرص تمدد التطرف وتوسع تلك التنظيمات التي سرعان ما تتشنج وتجنح لاستخدام عنف واسع حينما تُهدَّد أو تستشعر بأنه وقت الجهاد... ويعمل خطاب هذه الخايا والتشكيلات بطريقة عكسية لمظلومية التنظيمات الكبرى مثل الإخوان. وهي تستمدي لحظة تاريخية تحقق من خلالها إنتاج المرة في نفوس أتباعها أو من تحاول استقطابهم، وبالتالي فهي تنطلق من المجد لا من الظلم، وتنتج خطابا للمظلومية ولكن في حيز آخر وهو الحيز العالي، مبرزة أن هناك اضطهادا للفكرة والقيمة الإسلامية على مستوى عالٍ لا داخلي ولا محلي فقط. وبذلك فهي تعطي بعدا أكبر وأعظم لقضيتها، ورأس مالها الرمزي قائم على استدعاء صور أشخاص قاموا بالفعل بإربابك المنظومة العالمية، وبعضهم كانوا مقاتلين أشاوس مثل «خطّاب» (ساسر بن صالح بن عبد الله السويلم) في الشيشان. وقد بدأ ينمو اتجاه واضح في مصر يتباهى بصور الزرقاوي وأسامة بن لادن، سواء على صحفهم الخاصة في الفيسبوك أو حتى بشكل ميداني في التظاهرات التي يحشد لها هذا التيار. وتثير هذه التشكيلات في النفس أمرا غاية في الخطورة، وهو إمكانية التحرر والانعتاق. ولقد عبر عن هذا التجريد والقيمة العامة حملة «لازم حازم» التي كانت تدعم المرشح السابق حازم صلاح أبو إسماعيل في سباق الرئاسة. فشعار الحملة «سنحيا كراما»، كان الأكثر اتساقا مع مبادئ وشعارات الثورة، وحاكى وداعب حلما شعبيا تم دفنه لعقود طويلة وجاءت الثورة لتعبر عنه.

استراتيجية الحرية: ثلاث محاجات

إستراتيجية الحرية بحمية بشكل عام، وتتلخص في محور أول بأن سنة واحدة من الحرية قد أسقطت تنظيما نجح في البقاء والتوغل على مدار 80 عاماً في سباق مع القهر والظلم كما يقول الكثيرون. ويقال أيضاً: إن أصلحوا وقدموا شيئاً مفيداً فستكون إضافة عامة، وإن لم يضيفوا فلن تستطيع جهة منعهم التعلل بأن لديهم ما يقدمونه ولكنهم ممنوعون.

المحور الثاني وهو الأهم في تبني نهج الحرية، هو عدم إعطاء الدولة القدرة على البطش الدائم. لا يمانع عاقل في تصدي الجيش والداخلية لتلك الجماعات بالعنف في حالتي الترويع أو الحرب. ولكن ثمة أمراً خطيراً في استدامة حالة الحرب، وهو التأسيس لحالة الاستثناء، وهو بيساطة يعني رفع القانون أو «تحويل رفع القانون إلى قانون». وبالتالي، فالبنية القانونية ستكون بنية قمعية لأقصى درجة، وتؤسس لاستمرار حالة الفزع في المجتمع، أي ما أعطى الخطاب الأمني المساحة للتفضل مع المجتمع والدولة، والاستمرار في العنف والقهر وشرعنته مجتمعياً وسياسياً وقانونياً... والحقيقة أن الثورة قامت ضد هذا النمط تحديداً من علاقات السلطة. وبالتالي فليس من المعقول أن تتم التضحية بالحرية وأهداف الثورة من أجل نزعات انتقامية من فصيل قامت الثورة بهزيمته.

وفي محور ثالث أخيراً، فالمجموع هي من قامت بهزيمة الإسلام السياسي، وليس الجيش ولا الداخلية ولا كل الدولة العميقة مجتمعة، ولذلك، فإن كراهية التيار الإسلامي الآن ليست موجهة للجيش بقدر ما هي مصوبة نحو الشعب، كما تعبر تصريحات الكثير من الإسلاميين الذين لم يتورعوا عن تصنيف هذه المجموعة التي ثارت بأنها إما فلول وإما بلطجية مأجورة، وإما مغرر بها وإما أنهم عبّاد «بيادة» (أقدام) العسكر. بل ينتشر على صفحات الإنترنت وفي تصريحات عامة لهم ما هو أبعد من ذلك، حيث يتم نعت الشعب بـ«الديوث» و«النافق»، ويبدو أن حرباً من التكفير والتكفير المضاد تأخذ مكانها بين قطاعات من الجماهير والتيار الإسلامي المناصر لرسي. وتزايد بعض الجموع على إسلامية الإسلاميين وتتهمهم بالكفر وبأنهم حادوا عن طريق الإسلام، إذ يقتلون الناس من أجل الحكم لا من أجل الشريعة.

مؤامرة، كونية لو أمكن

ولكن لماذا الإصرار على خطاب المؤامرة والانقلاب العسكري؟ حينما هزمت الجموع وزارة الداخلية في 28 يناير، بادرت الدولة سريعاً بخطاب المؤامرة وإنكار الهزيمة ولصق الفعل بعناصر خارجية قوية ومؤامرة دولية أعظم وأكبر من إمكانيات الدولة المصرية وعلى رأسها الداخلية... لماذا فعلوا هذا؟ ببساطة لأنهم لا يريدون الاعتراف بالهزيمة على يد مجموعة من الشباب والأهالي! الدولة كيان ضخم وأسطوري وحينما يهزم فيجب أن يهزم بشيء مثله، أو بمؤامرة كونية من خارج الأرض إن أمكن. لا يمكن قبول الحقيقة المرّة القائلة بأن الجماهير هي من أجبرت على الدولة بكل جبروتها. فلننتخيل كيف يمكن لضابط شرطة أن ينظر في عين المواطن وهو يعرف ويعترف بأنه من سحقه من قبل. وهذه حالة معروفة بالإنكار.

والحال نفسه يتكرر مع تيار الإسلام السياسي. الإخوان المسلمون الذين حموا كل أنظمة الحكم في مصر، جاءت ببساطة جموعُ الشباب الثوري مع أهالي المناطق المختلفة، وقطاعات من فلول النظام السابق، ونزّلت إلى الشارع في معركة مفتوحة، وهزمت هذا التنظيم وشبكاته بل وعلاقاته الدولية... حتى صار يضرب المثل بأن شباب بولاق أبو العلا أفشلوا المشروع الأميركي في المنطقة، عندما دحروا محاولتي الإسلاميين في اقتحام التحرير ومحاصرة ماسبيرو. وكان على هذا التيار أن يحيل هزيمته إلى كائن أو مؤسسة أكبر منه، مثل الجيش، أو مؤامرة دولية وإقليمية، وعليه أن يضيف بعدا عقائديا للمسألة، فالمؤامرة ليست فقط على الإخوان بل على الإسلام.

اليد العليا للجموع

إلا أن استمرار الحرب لأمد بعيد سيفضي على الأغلب إلى هزيمة الإسلاميين. ولكن هذه المرة على يد الجيش والداخلية. وعندها سيذهب الجيد والانتصار من الجموع إلى الدولة. وهذا ما لا تريده أي ثورة شعبية. فلاستكمال الشرعية الثورية، ينبغي للنصر أن يظل في أيدي الجموع. وأن تكون يدها هي العليا في هذه المعركة، وآثارها هي ما يبقى في المجال العام والذاكرة الشعبية لا بيادات العسكر... «فجحد كعدأ المتوج بالأزرق صعب الزيارة» على حد قول الكبير محمود درويش.

علي الرجال
باحث في علم الاجتماع السياسي
متخصص في الدراسات الأبدية، من مصر

بغداد.. عاصمة من الإسمنت

إذا كنت تسير على قدميك في بغداد، فستضطر لأن تكون رياضياً تمارس هواية قفز الموانع في أكثر من نقطة على الطريق الذي تسلكه. أما إذا كنت تقود سيارتك، فستضطر إلى الدخول في متاهة لا تعرف أين تنتهي ومتى تصل عبرها إلى المكان الذي تقصده.

إنها غابة الحواجز الإسمنتية (الكونكريتية) التي تنتشر في شوارع بغداد. وظيفتها الرسمية هي حماية مؤسسات الدولة ودوائرها المهمة وبيوتات المسؤولين من أعلى الهرم، وانتهاء بموظفي الدرجة الرابعة وربما الخامسة. من اختراق السيارات المفخخة. هذا علاوة على تدعيم مداخل نقاط التفتيش بالحواجز الكونكريتية والتي توالدت في الفترة الأخيرة لتكون أكثر من الخم على قلوب العراقيين.

800 دولار أم 100؟؟

هناك أكثر من رواية تكشف أكثر من هدف، لولادة الحواجز الكونكريتية من رحم الاحتلال الاميركي في العراق ومنذ أشهره الاولى، وشخوصها على أضلع المدن والشوارع العراقية. الكلفة المعلنة لقطعة واحدة من هذه الحواجز، وبمساحة (1 X 3م) تبلغ 800 دولار أميركي، وهي مخصصة لعزل المدن والمؤسسات الحكومية، بينما تبلغ كلفة القطعة بمساحة (2م X 3م) 400 دولار أميركي، وهذه مخصصة لعزل الطرق وتنظيم مرور المركبات أمام نقاط التفتيش. وإذا نظرنا إلى شوارع العاصمة المتخمة بهذه الحواجز، لوصلنا الى قناعة مشتركة مع من يقول ان أحد أهداف هذه التخمة هو سرقة الثروات العراقية تحت بند الحواجز الكونكريتية، كواحد من آلاف البنود التي ساهمت بتبخر أموال مقدرة بآلاف مليارات الدنانير، لا سيما أن المختصين يقيمون كلفة القطعة الواحدة من هذه الحواجز بحدود المئة دولار فقط.

كل لدى جماعته

هدف آخر تحققه هذه الحواجز ألا وهو العزل الطائفي بين المدن من جانب، وداخل المدينة الواحدة من جانب آخر، إذ تبين الكثافة في توزيع هذه الحواجز على خارطة المدن، أن القصدية في رسم خطوط عازلة بين الكثافات السكانية ذات اللون الطائفي المحدد واضحة للعيان وتهدف الى تأجيج الصراع الطائفي منذ وقت مبكر من عمر الاحتلال.

فحي الجهاد الواقع في كرخ بغداد، على سبيل المثال، أصبح حيين تفصل بينهما كتل كونكريتية عملاقة: حي الجهاد الشيعي، وتوأمه حي الجهاد السني. هذا الفصل المروع، سهل على الميليشيات من الطرفين الضغط على الشيعة في الحي السني وعلى السنة في الحي الشيعي من أجل الهجرة القسرية عن بيوتهم، وإلا فانهم يتعرضون الى القتل المجاني بدم بارد وتحت أنظار الأجهزة الحكومية، بل ومساندتها في بعض الحالات.

كآبة وكساد

جدران العزل الكونكريتية أدت إلى ارتفاع أسعار السلع والبضائع التي تباع في الأسواق الواقعة داخل المدن المسورة. صحيح أن هذا العزل الكونكريتي أدى إلى ولادة أسواق شبه متكاملة بسبب صعوبة التنقل بين المدن، ما يضطر الناس إلى اقتناء حاجياتها من الأسواق الموجودة في مدنهم. وصار من الطبيعي أن تجد محلات تبيع الملابس والعطور ذات الماركات العالمية جنباً إلى جنب مثيلاتها المستوردة من تركيا والصين، إضافة إلى تلك المصنّعة محلياً، لكن الصحيح أيضاً أن تلك المواد، إضافة إلى الفواكه والخضر ومواد التسوق البيتي كالحبوب والمنظفات، تباع بأسعار عالية نتيجة ارتفاع كلفة النقل بالسيارات التي يضطر سائقوها إلى الدوران حول المدينة من أجل الوصول إلى المنفذ الذي غالباً ما يكون المنفذ الوحيد للمدينة، ناهيك عن ساعات الانتظار الطويلة في طابور السيارات المتكدس أمام نقطة التفتيش التي تنتصب أمام تلك البوابة اليتيمة.

كما أن منظر العزل الكونكريتي خلّف أمراضا نفسية متعددة بين قاطني تلك المدن مقطعة الاوصال، أكثرها شيوعاً مرض الكآبة، إذ يرى الناس أنفسهم كمن يعيش في سجن كبير محوّط بتلك الكتل العملاقة من الكونكريت، إضافة إلى ما تفرضه هذه الحالة من انقطاع للتواصل بين الأهل والمعارف والاصدقاء. كما أن البعض يرى في التفتيش اليومي الذي يتعرض له من قبل نقاط التفتيش كلما دخل مدينته من منفذها اليتيم امتحاناً لكرامته وانسانيته وقيداً على حريته التي يفترض أن يكفلها الدستور النافذ.

إعلانات مجانية.. وساخرة

هذه الكتل الكونكريتة المنتشرة على أضلع المدن وأرصفة الشوارع أصبحت مساحات مجانية لعرض إعلانات أصحاب الحرف والمهن والمتاجر، إذ لم يخلُ جدار كونكريتي من عرض إعلان لحذاء أو حلاق أو سباك أو صيدلية. بعض تلك الإعلانات تعرض بشكل تقليدي، فهي تتحدث من خلال كتابات سريعة، وبادة ملونة مرشوشة عن المهنة وصاحبها وهاتفه النقال لن يريد خدماته، لكن بعض تلك الإعلانات يعرض بشكل ساخر يعبّر معظم الاحيان عن سخط كامن في نفوس المعلنين وهم من قاطني تلك المدن. وبعضها أصبح مادة للتندر على الحكومة وتعبير عن كوميديا شعبية سوداء، منها مثلاً إعلانا يقول «جلاقة هاني .. اصطر (اقفز) وتلقاني»، مع سهم يؤشر باتجاه أعلى الجدار الكونكريتي. وتصبح هذه الجدران سوق عكاظ في المواسم السياسية، إذ تزدحم بملصقات المرشحين لانتخابات البرلمانية أو انتخابات مجالس المحافظات. وهي الأخرى عرضة للتفكه والتندر.

فرحة لم تتم

قبل حوالي سنة، أصدر مجلس الوزراء قراراً يرفع بعض تلك الحواجز الكونكريتية تمهيداً لإزالتها بشكل نهائي ـ نتيجة للتطور الملحوظ في الوضع الأمني ـ وفقاً للقرار. وبالفعل تنفس الناس الصعداء، وتنفّست المدن هواء نقياً معطراً بعناق التواصل الاجتماعي بين العائلات والاصدقاء. كان المشهد يوحي وكأن هذه المدن ولدت من جديد. لكن هذه الفرحة لم تدم طويلاً: إذ سرعان ما عاد الوضع الأمني إلى التفجر بسبب الخلافات بين الكتل والأحزاب المشاركة في العملية السياسية، وسرعان ما عادت الكتل الكونكريتية لتجثم على أضلاع الناس وأضلاع المدن كإجراء احترازي يمثل خياراً وحيداً نتيجة الفشل في تفعيل العمل الاستخباري والرقابة الشعبية كوسائل تحد من فعالية التفجيرات.

المالكي يعرف

والحصيلة هي المزيد من تلك الحمايات، لكن التفجيرات مستمرة ومتصاعدة في بعض مواسمها، غير مبالية لهذا الركام الحائل من الكونكريت والازدحامات المرورية الخانقة التي تخلفها نقاط التفتيش... فمدودة السوس تتحرك من داخل الشجرة ذاتها، ورئيس مجلس الوزراء والقائد العام للقوات المسلحة، نوري المالكي، يقول في لقاء مع فضائية العراقية الرسمية، إن تلك التفجيرات تتم «بسيارات الدولة وهويات موظفي الدولة وبغطاء من بعض مسؤولي الدولة»، وإلا «كيف تعبر تلك السيارات من خلال نقاط التفتيش؟» يتساءل المالكي! والناس تتساءل معه، وتضيف تساؤلاً آخر: ما جدوى كل هذه الكتل الكونكريتية ونقاط التفتيش إذاً، ما دمتم تعرفون كل ذلك؟

عمر الجفّال
كاتب وشاعر من العراق

«الفراشة والسكّين» (2000 - 2013)

«الذي علّم بالقلم»

ضاق النظام الجائم فوق صدور السوريين من الدور الذي فضّله لنفسه. يقاتل التكفيريين الوحوش، الذين اختاروا السلاح. ضاق، فتلك ليست جلدته. دعْك من أطفال درعا. فبعد ذلك اليوم الأول من الحراك، أطبق على المناضلين التقدميين أو الليبراليين الذين أنتجهم تاريخ سوريا الحديث، فقتل من قتل، وحبس من حبس، وطفّش الباقين.. وهكذا أخلى الساحة للتكفيريين، تسندهم الأنظمة العربية الرجعية، والامبريالية، هندسة جميلة.

سوى أن يوسف عبدلكي كان يرسم. لم يَعتبر من سنوات حبسه ولا من سنوات نفيه، واستمر يرسم. ورسومه «قوية»، وهو معترف به على نطاق عالمي. ولأن التكنولوجيا اللعينة تسمح بالنشر الفوري والعام، ولأن هناك فايسبوك وأشباهه، نشأت حالة حول الرسم: «الفن والحرية»، ومثيلاتها، انخرط فيها الفنانون السوريون شيباً وشباباً. أتريدون أن تعرفوا متى يكون نظام ما شرعياً؟ حين لا تعارضه الأغلبية الساحقة من المثقفين والفنانين!

ويوسف ذاك، يا للوقاحة، يذهب لزيارة رفيق قديم له أطلق سراحه بعد كدّ سنة حبس. بل، ويا للوقاحة، يذهب إليه مع أصدقاء آخرين. ترتعب السلطة. بتى يتهتك النسيج الاجتماعي. إن لم يتمكن منه نظام الوشاية المنظمة، والاعتياط المنظم لإثارة الرعب، وكل ذلك التفنن بالقتل؟ أصدقاء يتعاضدون؟! هذا إرهاب، ولا سيما حين ينتمي كل واحد من هؤلاء المسافرين معاً إلى طائفة ومذهب. معاً وضد النظام؟ جن جنون هذا الأخير.

كما كان قد جن بسبب عبد العزيز الخيّر. المناضل الواعي، المتوازن، البعيد عن الذاتية والبهرجة ـ وهي أمراض شائعة هنا تتكفل بما يفوت النظام ـ أمضى 13 سنة في الاعتقال، وخرج متماسكاً نقياً... أحسن مما كان. وراح يسعى لتوفير شروط التغيير السلمي للسلطة، فبدا خطره أكبر من «التكفيريين»، وهم الأعداء المنتقين والمكرسين.

رافق يوسف «السفير العربي» منذ اللحظة الأولى. لا يوجد كلام للتعبير عن الغضب حيال اعتقاله، والاشمئزاز ممن يرتكب فعلة كهذه، غارقاً في بحر من الغباء والإجرام معاً، مما لا مزيد عليه.

الحرية لرفيقنا وصديقنا وزميلنا يوسف، وللعزيز عبد العزيز الخيّر، الذي يشبه نسائم الصباح في رقته، وصخر قريته القرداحة في صلابته، ولكل المعتقلين في سجون السلطة السورية. الحرية لسوريا.

نهلة الشهال

العربي السفير

ملف

محكمة جديدة أعلنت الحكومة السودانية التحضير لإنشائها تحت مسمى «المحكمة الناجزة»، لتكون مختصة بقضايا النشر الصحافي ومحاكمة الصحافيين، بالتزامن مع إقفال أجهزة الأمن صحيفة «اليوم التالي» المستقلة الأسبوع الماضي، لتنضمّ إلى «رأي الشعب» و«التيار» و«أجراس الحرية» و«الميدان»...

«رمضانهم»

بعد الخيط الأول من وجه القمر

لا عيون تفتك معنى الظلك، مذنباته، نجومه، كواكبه، شهبه ذات الأعمار الطويلة أو القصيرة، ولا حواس صائبة تستدرج شعاع الكوكب الطفولي الأنيق، معبود العشاق والرعاة، بترانيم بهيجة وبنداءات تروض ميثاق الطبيعة. إذاً ينبغي التريث. وانتظار سعال المؤذن الكهل مضخم الصوت، قبل الاستماع لإطلاق بشارته، بصوت مقابل معافى من خدوش الأحماض وارتياب المؤاقيت.

بعدها تصعد أصواتنا إلى عليائها، وتتبعها ركضاً إلى سطح البيت لمشاهدة اللمعات المتوهجة قبل سماع انفجارات «الطوب» المتكررة، نحن الأولاد المنذورين لإيمان الرانق، وتمتين أواصر العائلة المقدسة، واصطياد فراشات البهجة من فوق توهجات زهورها. تنزل بعدها كقطار معوج إلى أرض البيت، تسبقنا زمامرينا وأبواقنا، نتلاصق ببعضنا لنحصي على مهل غنائمنا العابطة من العقار السماوي: الحرية المنتزعة من ضيق الوقت على الأهل المشغولين بإعداد الأطعمة وتبادل الدعوات إلى وليّمة الإفطار، السهر البهيج إلى ما بعد السحور، اللعب خارج البيت وتنمية الاكتشافات الكبيرة، هكذاكنا نلعب كرة القدم في العتمة بنفس حيوية لعبها في النور، وأن «الصياح» يدور في الليل كما في النهار، والمذاقات اللذيذة التي تكتسبها الأطعمة المدرجة في الفاتك الخبز، حين تؤتكل بقبوض عليها بأكف منشحة بالغبار والعرق المالح، تحت الضوء البرتقالي لمصابيح البلدية.

يطلب مني أبي أخيراً الخروج معه إلى السوق، لتوفير بعض الاحتياجات الضرورية لليلة، نعبر الشوارع الضيقة من «بستان القصر» عبر «حديقة القباقيب» إلى ساحة جمال عبد الناصر في «الكلاسة»، نحايث التدفق الشعبي المصطفي بإضاءات المبهرة، والمستحم بنداءات الباعة المواظبة عن حوائج الصائمين. إلى يميننا فرن «الناصر» يوزع بالمجان، كما كل رمضان، خبزاً سميكاً على العابرين. وبعده فرن آخر يوزع كعك «المعولة» المتمح وجهه والمزين بحبيبات السمسم وحبة البركة. بعد أبي بين المزدحمين، ويقف من وقت لآخر ليعتد بن يصادفه من معارفه، وهي فرصة لأرفع رأسي وأرى المصابيح المتدلية كعناقيد عنب، والأعلام الملونة المرفرفة كأوراق الدوالي، وأخيراً يكتفي بالحلويات والسكاكر وبعض الفاكهة، تحملها ونعود إلى البيت، مبقياً حوائج وليمة الإفطار إلى الصباح.

في صباح المدرسة، كان يدقّ، يفتح فمه على مداه ويخرج لسانه، لا لشيء، في منطق اللهو، أو لدعابة ساخرة من كلام مرسل يتبادله التلامذة فيما بينهم في الفسحة الزمنية بين حصتين تعليميتين، بل ليقول: أنا صائم، ولساني الأبيض دليل على ذلك. وكأنّ الصيام لم يعد من واجباته الدينية، بل الجهد المثابر على إظهاره، ويتبعه بتعقّب لجوج لامتحان غير الصائمين، من الذين لا تظهر عليهم علامات الصيام وسماته، ليبقى أولئك موضع شكوكه وارتيابه على دوام شهر الصيام. ولا يتأخر هتافه الصاخب، حين يقبض على من يتهيأ له أنه من المفطرين، من الذين يقتربون من صنابير المياه لغسيل وجوههم وإزالة آثار الحر عن رؤوسهم «مفطر يا سم.. يا دواق الدم/دبك دم الخنزير» يبعلقوك بالجنزير/ والجنزير مالو حلقة/ بيعملوك بالفلقة»... وكنا نلتفت إليه يحلج المتفاجئ، صادمين رؤوسنا برأس الصنبور النحاسي، نشفق لحاله، وهو يتقمص دور الشرطي الحارس للنواميس. لم يدرك زميلنا، أنه يتمنى لنا «تجرع السم»، نحن الجالسين معه على مقعد الصف، وكنا خارج هذا الشهر، نقتسم لفائف الأطعمة التي تعدها لنا أبعاتنا، ونتبادل الدفاتر والكتب وأقلام الحبر الجاف، ويستعجل علينا العقوبة وتطبيقها الدنيوي، غير متمهل وصولنا معاً إلى يوم الدينونة، لننتظر بترقب وخشوع سرد الملائكة لمدونات الحقيقة، ووضعها أمام ميزان الحق.

أبياهما كان، رغم سفاهته وتعدياته الدائمة على حرياتها، فرداً هزيلاً بإمكاناته وقدراته، يكفي من لا يعجبه كلامه الاستدارة نحوه فسحة متاحة، لمكنات التجول السمح في الباحة، وإظهار الاختلاف البلق، فضلاً عن مواجهته بسخرية علنية من سلوكه، والاحتفاظ بخيار مؤجل وغير مستحب من عموم التلمذة، بإبلاغ الإدارة بإزعاجه، على عكس ما يفعل هو تماماً، حين كان يشي بنا للأساتذة المأخوذين بآثار الصيام، محولاً أوهامه إلى حقائق يقينية. وكانوا يصغون إلى كلامه، فإركين جباههم بظاهر راحاتهم، ليحولوا رؤوسهم بعدها، دون أن ينطقوا بحرف، نحو السبورة النظيفة، مدونين بطباشير بيضاء هش التاريخ وعنوان الدرس.

ساهمت السنوات المتعاقبات بإظهار أن شكليات الصيام قد غدت أقوى من معنى الصيام ذاته، وتبنتها كعادة ثقيلة، تفرغها كل يوم من مثاقيل الحمولة التقشفية، كأنما سعي لإكراه الجماعة بالواجب الديني، والعمل على الوعظ التأديبي والتذكير المستمر بالقناعات الموروثة، أكثر منه اعتصام بأسبابه العميقة، بكونه تعبيرا عن نزعة إرادية تتقدم مشفوعة بحريتها الفردية لتعارك وتقهر إغراءات الماديات اليومية، والثبات في الجسد والروح التنظيفين، أمام العبور السائب لإغراءات الحاجات الجسدية وهي حاجاتها للاستمرار بالحياة. وبكون الصيام فرصة لاختبار الجسد وإظهار تفوقه، وإبراز قدرة القوى الروحية، حين يجري الإصغاء لها، على دحر الحاجات المادية وإطفاء نيران متطلباتها.

وكأن ما يحصل من إفراط في توكيد المؤكد إيذان بخروج الفكرة عن مسارها. وعليه تؤكد كل مصادر المعلومات على تحول رمضان إلى «موسم رمضان»، يبدأ بارتفاع استحكام المواد الغذائية عوضاً عن انخفاضها، وارتفاع أسعارها لشدة الطلب وثبات العرض، زيادة يرافقها الإنفاق الاستهلاكي البطر، ليجري تخصيص ميزانية مستقلة له باتت تعرف بـ«ميزانية رمضان».

تتحيا وسائل الإعلام قبل رمضان، بمسلسلاتها وبرامج حزازيرها ووجبات الأطعمة المتنوعة الفاخرة، وبرامج الوعظ الإرشادي، والطبي... لتقول معاً «عليك الصيام وأترك الباقي عليّنا». ومن الشرفات، ومن الحواتف الثابتة والمحمولة، وأمام عتبات البيوت، يجري تبادل الأحاديث عن أطعمة الفطور والسحور وتنوعها، عن أحدث الوسائل في السيطرة على الوقت، وعن الاستبدال المنهجي للساعات البيولوجية، ويبقى الصيام المتكور على ذاته العميقة، المنسي في زمن آخر، في منأى عن كل ذلك...

من يذكر اليوم الأصول المؤسسة للتصوف العثماني، تأملاته، أشعاره، موسيقاه، وإبداعاته في الرقصة المولوية، وانتقالها التدرجي بإحترافيتها الراهنة، لتتحول إلى ثبت في مدونات البرامج السياحية، هي عينها ما كانت قبل قرون، تعبير عن توق البشر للوصول إلى الفناء، في الكائنات العالية، أو الدوران حولها كأقمار من فذلات الشوق. رمضان إخماد الجسد وإعادة إحيائه، تبادل أطباق التكافل الاجتماعي، أمنيات الرحمة وتعميم الخير، تمتين العلاقة المباشرة بين البشر وسمائهم.... كأنه الزمن المتناوب لرتوج مفاليقه على رمضان، وتفتحه على رمضان جديد مختلف.

ونحن حيث نحن، نهرع بعد نداء المؤذن الكهل إلى سطح العمارة العالي، لنترقب وميض الـ«طوب»، ونتمنى أن لا يخطئ وجهته وموقع انفجاره، وننزل بخطى ثقيلة إلى البيت، لنتأكد من إمتلاء الأوعية باللاّء واللّاجة ببعض الخبز.

عزيز تبسي

كاتب من سوريا

عن القوائم المتشابهة التي تُكتَب كل رمضان

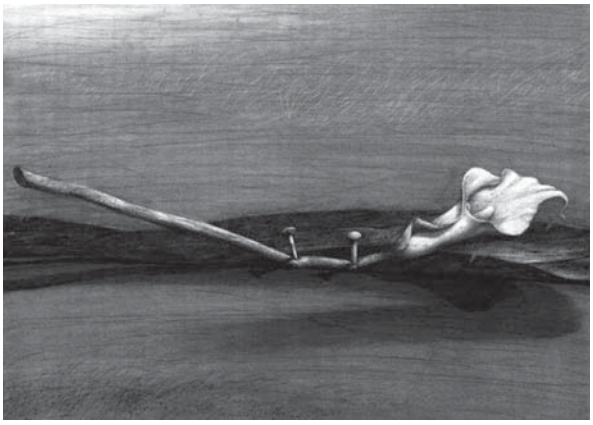

(من مرحلة 2000 ـ 2013)

منذ بضع سنوات، لا أعرف عددها على وجه الدقة، قررتُ أن أجعل من رمضان الذي كان على الأبواب وقتها، موعداً كي أتغيّر وأبدأ صفحة جديدة في حياتي، وذلك بعد أن قرأتُ أنّ «شهر رمضان يُعَدّ فرصة كبيرة أمام المرء كي يتغير نحو الأفضل ويبدأ صفحة جديدة في حياته». أعجبني ما قرأتُ، أعدتُ كتابة العبارة على ورقة منفصلة، وعلّقتُها في مكان بارز على حائط غرفتي، وقررتُ وقتها – بنية صادقة – أن أضعها موضع التنفيذ.

في أول ليلة من ليالي رمضان، أغلقتُ بابَ غرفتي وتناولتُ الورقة والقلم، قسّمت الصفحة طولياً إلى جزءين، سجلتُ في أحدهما أفعالي التي لا أرضى عنها وأريد التوقف عنها وتركها، وفي الجزء الآخر تلك التي أرى أنه ينبغي عليّ أن أواظب عليها وألتزم بها. أتى الشهرُ ومرّ، أبديتُ صموداً لافتاً أثناءه، ضعف صمودي شيئاً فشيئاً بعد انتهائه حتى تلاشى، وعدتُ إلى سيرتي الأولى. قبيل رمضان الذي بعده فعلتُ الشيء نفسه. عندما قارنت القائمتين فوجئت بأن كل واحدة منهما تكاد تتطابق مع نظيرتها. لم يُقلقني ذلك حماسي، أعدتُ كتابة العبارة بخط أكبر «شهر رمضان يُعَدّ فرصة كبيرة الخ...» وعلّقتها مكان الورقة القديمة التي كانت قد انثنت واصفرّ لونُها، وعاهدتُ نفسي ألا تكون هذه المرة كسابقاتها، وانني سوف أتغيّر حقاً.

ربما كان صمودي هذه المرة أقوى «بعض الشيء»، فقد استمر لفترة أطول بعد أن ولّى الشهر الكريم، ولكنّه في النهاية لقي المصيرَ نفسه، باستثناء تغيير طفيف، لا يكاد يُذكر.

تتكرّر الأمر عاماً بعد عام، يُشعرُك بالإحباط. عن نفسي أتوقع بعد الزواج مثلاً ـ هذا إن تزوجت ـ أن يختلفَ ما أكتبه في قائمتي قليلاً، فبدلاً من أكتب: «عليّ أن أبذل مجهوداً أكبر في مساعدة أمي في الأعمال المنزلية، وألا أتشاجر مع شقيقتي الكبرى بسبب «التلفزيون»، وألا أحسد صديقاتي اللاتي تزوجن قبلي»، سأكتب: «عليّ ألا ألغي زيارتي الأسبوعية لوالديّ لأي سبب، مكتفية بالاتصال الهاتفي بحجة «الانشغال»، وأن أحرص على التبسم في وجه زوجي وإبداء الاهتمام الكبير به عندما يعود من عمله على الرغم من شغوط البيت والأطفال والعمل جميعها، وألا تستفزني تصرفات حماتي وتدخلاتها التي لا تنتهي في حياتي»، وربما أكتب أيضاً «عليّ أن أراعي مشاعر صديقاتي اللاتي لم يتزوجن بعد عندما نلتقي، وألا تطغى رغبتي «غير البريئة» في التفاخر أمامهن على حرصي «المفترض» على مشاعرهن. فقد جربتُ ما يثيره مثل هذا التفاخر في النفس من قبل.

أما أكثر ما كنتُ أكتبه فسوف يظل كما هو: «أن أخضع في صلاتي، أن يكون للمحتاجين نصيب «ثابت» من كل راتب وليس من «راتب رمضان فقط»، أن أنظم وقتي وألا أضيعه، أن أقلل من استخدامي للفيسبوك، أن ألتزم بالخطة التي أضعها للقراءة، أن أحرص على النوم مبكراً لأستيقظ مبكراً، أن يكون هدفي من الكتابة والعمل الصحافي المنفعة العامة لا المكانة والمنزلة بين الناس، خاصة الزملاء، أو الفخر والمباهاة بأني صرتُ «كاتبة» (وربما مشهورة في ما بعد)، وأن أسعى (وربما صورتي لاحقاً) «بظهر في الجرائد»، بانتظام، كذلك أن أحسن الظن بتصرفات من حولي «خاصة الأقرباء والجيران»، وأن أكظم الغيظ ولا أغضب، وألا أغتاب أحداً». وهذه الأخيرة ـ كما تعلمون ـ صعبة للغاية.

ثم نكبر ويكبر الأبناء، ويتزوجون، وساعتها يمكن أن يضاف إلى القائمة «عليّ أن أكتون أقلّ حدة مع زوجات أبنائي، وأن أتحمّل بسعة صدر النتائج المترتبة على «فراغ» زوجي بعد خروجه على المعاش».

الاختلاف لن يكون فقط في بعض التفاصيل، فالأوراق القديمة ستكون مكتوبة بخط جميل ومنتق. أما الأحدث فسيكون من الواضح أنها كُتِبَتْ على عجل وبقدر أقل من الاهتمام. على أية حال فمن المرجح أني، بمرور الوقت، سأتحاشى المقارنة بين هذه الأوراق التي سوف تتراكم لديّ بعضها فوق بعض، مؤرّخة بسنوات متتالية، كما سأتحاشى النظر إلى الورقة المعلقة على الحائط، وإن كنت أتوقع أن أقرر بعد سنوات قليلة من الزواج إزالتها والاكتفاء بوضعها داخل دفتر مذكراتي اليومية كي أستريح من سخرية زوجي كلما رأني أنزعها لأضع واحدة جديدة بدلاً منها، كل رمضان.

في مرحلة لاحقة، سوف أصير جدة، يشتعل الرأس شيباً، تظهر التجاعيد، يضعف البصر والبدن، ولا تضعف الرغبة في أن «أغير نفسي إلى الأفضل وأكون كما أريد».

وأتخيل نفسي في هذه المرحلة التي ستكون في الغالب آخر المراحل، وأنا أستقبل أبنائي وأحفادي أول أيام رمضان من كل عام، هي تتناول الإفطار سويا، وفي الليلة السابقة أكون قد مارستُ طقسي السنوي، وأنا لا أدري ما إذا كان حرصي على هذا الطقس طوال كل هذه السنوات، سيزيد شعوري بخيبة الأمل، أم أنني أجد في ذلك الحرص الذي لم يفتّ الزمنُ في عَضُدِهِ بعضَ العزاء!

منى علام

كاتبة وصحافية من مصر

للتنقيب

عطب اللغة.. «عسل أم قيح زنابير»؟

يبدأ درس الفكر من درس اللغة. تتعرض آذاننا لوابل من الكلمات: ثورة، ربيع، مصالحة، ديموقراطية، انتخابات، استقلال، قضاء، حرية، ارحل اسقط انحش... في كل واقعة سياسية واجتماعية تنطلق تسميات متضاربة على الشيء نفسه.

انقلاب أم ثورة؟ سقط النظام. رائع. سقط رأس النظام. ما الفرق بين الأمرين؟ بقي النظام. رجع النظام الأسبق. ربيع أم خريف؟ حرية أم انحلال؟ هوية أم انفلاق؟ ما الأفضل لنا ولكم: دولة مركزية قابعة في «لادولة» على حافة الفوضى؟ هي يقوم تيار ديني يحافظ بثورة؟ وفي أي اتجاه.. تبعثرت اللغة.

في حوارات بين أطراف تجمعهما طاولة، يستخدمون الكلمات نفسها، لكن تفصلهم سنوات ضوئية على صعيد المعنى. كيف وصلوا لهذا رغم أنهم يستخدمون اللغة نفسها؟ يستخدم المتحاورون المفردات ذاتها، فهل يطابق الوصف ما يصف؟

أيجعلون المعاني وقد حوقتم بطل رواية الغريب لألبير كامو لأنه «يعرف معنى الكلمات»؟

في المدرسة، ومن باب تدقيق اللغة، كان المدرسون يحرصون على تعريف معاني الكلمات لغويا واصطلاحا. ويكون هذا التحديد المعجمي أساسيا لحصر موضوع الحديث. يميزون بين لغة وظيفية أحادية المعنى وهي مستحبة، ولغة إيحائية تعدد بانزلاقات دلالية. يستحسن تجنبها.

ولترسيخ قيم معينة، كان نظار المدارس يكتبونها على جدران الفصول الدراسية ببنط عريض: «العلم نور والجهل عار»، «حافظ على نظافة مؤسستك»، «إنما الأمم الأخلاق ما بقيت، فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا»، «خير جليس في الزمان كتاب»... المشكل أن الأقوال مأثورة فقدت معناها. طبعها التكرار مضر بالعقل ومفيد للعضلات. من حسن الحظ أن العقل ليس عضلة. فقدت الكلمات معناها من فرط التكرار. تحلحلت المفردات، ما عادت تشير إلى شيء، صارت اللغة معطوبة.

ضمر المعنى في قبر اللغة الخشبية. حتى تعبير «التعطية التلفزية» صار يفهم بمعناه الدارج «التغطية»، أي السّتر وهو نقيض الغرض الأساسي لإعلام. علمنا الفلسفة أن درس الفكر يبدأ بما بعد درس اللغة. من فاته درس اللغة فاته درس الفكر. إذا كان المتحدثان يستخدمان العقل فكيف لا تطابق الأسماء المسميات؟

كيف يتسبب اختلاف المرجعيات والمصالح في اختيار التسمية؟ من له الحق أن يسمي ما جرى؟ عرف ابن جني اللغة بأنها «أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم». لكن ألا يتسبب سوء الفهم المزمن في إفقاد دورها كنسق من العلامات. ألا تقترب اللغة في هذه الحالة من اللغو؟

كيف انعكست ضبابية الأفق على اللغة؟ ثورة أم انقلاب؟ عسل أم قيح زنابير؟ قديما قال الشاعر المتنبئ ابن الرومي عن العسل: هذا مجاج النحل تمدحه ـ وإن تعب تقل قيح الزنابير.

تبعثرت العلاقة بين الكلمات والأشياء اعتباطيا مع اشتداد التناقض بين الأطراف المتحاورة. من هو المتناقض؟ هو الذي يخالف نفسه. ينفي ما سبق له أن أثبته بالقول أو الفعل.

كيف؟

يهاجم المتحدث الإقصاء، يهاجم الطائفية. يطالب الآخر بالموضوعية. لكن لا يخطر بباله مبدأ التعامل بالمثل. السبب؟

هيمنة وعي مؤدلج من سماته كثرة أحكام القيمة (مع / ضد، جميل / قبيح، حلال / حرام) والاقتصار على النظر من زاوية واحدة، وبالتالي تبسيط الظواهر. وأخيرا التحصن «بالمابينبغيات»... هذا وعي كاذب يحقق كل شيء في الذهن، بينما الواقع في واد آخر. أليس المطلوب هو أن تثمر الثورات وعيا مطابقا، وعي مرتبط بما يوجد، بما يجري، خاضع لشروط اللحظة التاريخية؟

محمد بنعزيز

كاتب وسينمائي من المغرب

مواقع

شريكة/صديقة

معازف: لأنّ الموسيقى «ضدّ المطلق وضدّ السلطة»

منذ كانون الأول/ديسمبر 2012، أصبح للمهتمين بالموسيقى (العربية خصوصاً والعالمية عموماً) «غير التجارية» عنوان إلكتروني ليس لزيارته بشكل دائم وحسب، بل للمساهمة في ما ينشره كتابياً وموسيقياً: «معازف» مجلة إلكترونية وُلدت بدعم من «الصندوق العربي للثقافة الفنون»، «متخصّصة بالمقالات والدراسات والأبحاث والمراجعات الموسيقية العربية بشكل خاص، والعالمية عموماً» بحسب تعريف مؤسسا المجلة، معن أبو طالب وأحمد الزعتري. وجاءت فكرة تأسيس المجلة تُعنى «بالموسيقى التقدمية والتجريبية بشكل خاص، لتوثيقها، وتحليلها، ودراستها من جوانبها السياسيّة والاجتماعيّة وغيرها، إيماننا بأنّ الموسيقى منتج تراكمي وأنّي في نفس اللحظة، يصنعه السياسيّ والاقتصاديّ والعامل والطالب، بعيد إنتاجه الفنّان لنفس الصنّاع».

وفي «مانيفستو» تأسيس «معازف»، نقرأ: «رغم أن سنة 2011 جاءت لتسترداّ ثمن الحرية الذي دفعته الشعوب، ولا تزال تدفعه، منذ زمن الاستعمار الإمبريالي، إلا أنها أتت أيضاً لتحرّرنا من استبداد المستعمر الداخلي: المضطهد، والرقيب، والمستأثر بالحقيقة والدين والإبداع، وطوابير بحرجي بلاط القصور الذين قاموا بالتشويش على الأدب بالبلاغة، وعلى الفنّ بالفولكلور، وعلى الموسيقى بالترفيه. في ظل هذا الإرهاب الفكري، نشأت طبقات مجتمعية تدّعي أهليتها للاستئثار بالإبداع. ونشأت حركات موسيقية مثل موجة «الموسيقى البديلة»، ورغم طبقيّة الكثير من إنتاجات الموجة الأخيرة، كان مجرّد التفلّت من حزاس الفولكلور والحقيقة، أمراً ثورياً بحد ذاته. من هنا جاءت فكرة تأسيس مجلة تعنى بالموسيقى العربية التقدمية والتجريبية بشكل خاص، والموسيقى العالمية بشكل عام».

برأي مؤسّسي المجلة، «الموسيقى دموية وحاسمة ضد المطلق وضد السلطة. الموسيقى شوارعية. خريجة كباريهات ومعازف محرّمة».

ونظراً لـ«لحاجة الملحّة لمشروع موسيقي كعدّة غير منضبط بنظرية «الفن للفن»، انضم إلى «معازف» عدد لافت من الكتّاب والصحافيين والأكاديميين والشعراء، والنقّاد ممّن تجمع بينهم الموسيقى، أكانوا مجرد هواة سميع، أو محترفي عزف. في الحصلة، مقالات وتحقيقات وتحليلات وأبحاث وترجمات (فضلاً عن مكتبة موسيقية غنية) محترفة ومتنوّعة. كتّاب المجلة الوليدة يتوزعون على معظم البلدان العربية، وينضم إليهم بعض محبي الموسيقى من غير العرب.

«مستورد» هي إحدى زوايا «معازف»، وهي مخصصة للموسيقى غير العربية، (تقرأ مثلاً عن علم الموسيقى المركسي، وعن نينا سيمون وفرقة ليد زيبلين والجانب التروتسكي الراديكالي للمغنّان الفرنسي الراحل جورج موستاكي). يبقى أن زاوية «فيديو» من أبرز فقرات الموقع، إذ تمكّن زائر «معازف» من قراءة نص عن مغزوفة أو فرقة يسمعها ويشاهدها في الوقت نفسه. «معازف» عنوان رئيسي للتعرّف على مشاريع موسيقية (عربية خصوصاً) قديمة وحديثة ومعاصرة لا مكان لها على شاشات الفضائيات الإعلامة خلف كل ما هو تجاري. وهي تثبت أنّ شعار «الجمهور عايز كده» ليس قدراً محتوماً.

http://www.ma3azef.com/

(وإن هذا التقديم لا يفي الموضوع الخطير حقه، فنخشر قريبا بالإشتراك مع «جدلية»، مقابلة مع المشرفين على الموقع).

فكرة

الاستثناء السوداني

ضرب الرئيس السوداني عمر البشير موعداً عرقوبياً جديداً لـ«التغيير الكبير» في بلاده: في حلول نهاية عيد الفطر (أي في منتصف آب/أغسطس المقبل)، ستحصل «نهضة» كاملة على صعيد «السياسات والوجوه والأفكار» الحاكمة. وفق ما سرّبه مقرّبون منه في حزبه، «المؤتمر الوطني»، قبل أيام. مشروع يوحي بأنّ ما سيحصل سيكون أكبر من مجرد تعديل حكومي سبق أن قام به ربما عشرات المرات في السنوات 24 التي حكم فيها منذ انقلابه على الصادق المهدي، من دون أن يتغير شيء، ما خلا زيادة في الجوع والقتل والتسلط والتقسيم والتفرّد في الحكم والحروب المنتقلة من شرق البلاد إلى غربها، وشمالها فحدودها الجنوبية الجديدة. أهي مناورة جديدة للرجل، أم أنه، وهو الذي حرمه الخالق من الأولاد من زيجاته الثلاث (جميعها تقريباً حيكت بطريقة تساهم في الحفاظ على حكمه)، بات يستشعر خطراً حقيقياً على مصير حكمه عشية بلوغه السبعين من العمر، وبعد رواج موضة التوريث في الجمهوريات؟ سؤال كل جواب عنه يدخل في باب التخمينات القليلة القيمة في حسابات التاريخ، لكنه قد يكون مؤشراً جديداً لانعطافة في صلب «الاستثناء السوداني» الذي أرساه البشير منذ العام 1989. حتى في خطة «الانسحاب التدريجي، التي أعلن عن خيوطها العريضة في الخرطوم، يثبّت البشير استثناءً عن خطط الانسحاب المعهودة. ففي القيادات الحكومية والرئاسية والبرلمانية المنوي إرساؤها (من دون الاقتراب من الأجهزة الأمنية الجيش)، لن يكون هناك أعضاء يبلغون من السنّ أكثر من 50 عاماً بحسب ما طلبه الرئيس من أعضاء المكتب القيادي لحزبه، ليبقى هو الوحيد تقريباً الذي يناهز السبعين. لا يُتوقّع أن تهلّل عواصم الغرب لهذه «السرحية الثورية»، بما أنّ باقي فصول السيناريو كشف عنها صديق البشير وقريبه، محمد لطيف، الذي لفت إلى أن البشير «يسعى إلى تغيير كبير، لكنه عدّل في سيناريو التغيير بحيث يكون هو آخر المغادرين بدلاً من أن يكون أولهم، وهو يرتب لخلافته، والتعديل الحكومي المقبل يعتبر تمهيداً لذلك، خوفاً من وقوع أي صراع بين الإسلاميين على خلافته».

الاستثناء السوداني بنسخته البشيرية مستمر، والتشويق سيكون عنوان فصوله المقبلة. هل يستلم غداً أحد المقربين من البشير الحكم، ليكون واجهة جديدة لسلطة العسكر، وليرث كوارث المجاعة ودارفور وجنوب السودان ومذكرات اعتقال المحكمة الجنائية الدولية، والقتل الجماعي والهجرة المكثفة والتصحر؟ أم يعيد الرجل تحالفه مع حسن الترابي والصادق المهدي... أم يصفيهما؟

قبل حوالي عام، سخر البشير من المتوعدين بالإطاحة به من خلال تظاهرات الغضب. خاطبهم قائلاً: تستطيعون إطاحتي فيما لو تمكّنتم من لحس كوعكم. فما كان من عشرات الآلاف إلا تخصيص احد أيام تظاهراتهم للحس جماعي لأكواعهم. ظلّ هذا «اللحس» محصوراً بإطار التحدّي الرمزي بالنسبة للمعارضين، لكن قد يكون البشير نفسه هو من استشعر جدياً بخطر الكوع.

أرنست خوري

قضية

167 «جريمة كراهية» نفّذها مستوطنون صهاينة منخرطون في جماعة «دفع الثمن»، ضدّ فلسطينيين في كلّ من الضفّة والقدس وأراضي الـ48، وذلك بين مطلع العام الجاري وآخر نيسان/أبريل الماضي، بحسب اعتراف الشرطة الإسرائيلية في 12 تموز/يوليو الجاري.

المرافق النفطية هدفاً إرهابياً.. والعين على السعودية

وفي مطلع هذا العام، تعرض مجمع الغاز الجزائري في عين أميناس الى هجوم إرهابي نتج منه مقتل 38 شخصا من جنسيات مختلفة. ومع ان القوات الجزائرية تمكنت من احتواء الهجوم في ما بعد، إلا انه خلّف نتيجتين رئيسيتين: أولاهما ان الصناعة النفطية، بامتداداتها الجغرافية الطويلة والمتسعة، أصبحت ميدانا جديدا للعنف، بسبب موجة التغيير التي تشهدها المنطقة عموما. وتكتسب هذه النقطة أهميتها كون الجزائر عاشت عقدا من العنف الأهلي لم يصب رشاشه المنشآت النفطية في تلك البلاد، ربما لقناعة وقتها من قبل تلك الحركات المسلحة المقاتلة بأنها تأمل في تولي السلطة يوما. ومن ثمّ فهي ستحتاج الى العائدات التي تدرها صناعة النفط والغاز. وثانيهما أن اتجاه الجماعات المسلحة الى التحرك بصورة فردية ومحلية، مفتقدا المركزية التي كانت سائدة من قبل، تجعل مرافق الصناعة النفطية ميدانا يغري بالاستهداف من قبل هذه المجموعات. وساعد على ذلك، التغييرات في المشهد السياسي في كل من ليبيا ومصر وتونس، وخروج بعض عناصر هذه المجموعات من السجون، وتفكك القبضة الأمنية والاستخبارية في هذه الدول.

ما حدث في الجزائر، ويحدث بصورة شبه يومية في نيجيريا واليمن وغيرهما، يؤكد حقيقة أبرزتها قاعدة المعلومات عن الإرهاب الدولي في جامعة ميريلاند الأميركية: يشهد كل أسبوع وقوع ثلاثة حوادث إرهابية حول العالم تستهدف مرافق وأشخاصا يعملون في صناعة النفط في مكان ما من الكرة الارضية. وهناك حوالي 40 دولة فيها صناعة واستثمارات مقدّرة في الميدان النفطي، ما يجعلها هدفا لمثل هذه العمليات، خاصة مع تراجع العملية السياسية وصعود وتيرة العنف الأهلي والإقليمي.

لكن، رغم التطورات التي شهدتها الصناعة النفطية وبروز مناطق إنتاج جديدة، ما يخفف من الانعكاسات السلبية لانقطاع الإمدادات بسبب حادث إرهابي، إلا ان الصناعة النفطية لا تزال محجوبة باحتمال وقوع حادث من هذا النوع في السعودية تحديدا، وهي التي ظلت متربعة على مرتبة الملجأ الأخير للسوق، وكأنها المصرف المركزي للصناعة النفطية العالمية.

ماذا لو؟

في أيار/مايو من العام 2004 نشرت مجلة «الإيكونوميست» البريطانية تقريرا خاصا معمقا تحت عنوان: «ماذا لو؟». التقرير تناول بالتحليل احتمالات قيام زعيم القاعدة أسامة بن لادن بالعمل على تنفيذ حديثه عن أهمية استهداف الدول الغربية بقيادة الولايات المتحدة في أوضاعها الاقتصادية، وذلك عن طريق توجيه ضربة الى بعض مرافق المنشآت النفطية السعودية وإغلاقها لبضعة أسابيع، الأمر الذي يمكن أن يحدث اضطرابا اقتصاديا عالميا كبيرا. بعد عامين من نشر ذلك المقال، حدث هجوم إرهابي غير عريتين مفخختين على مجمع المعالجة المركزية في أبقيق، في المنطقة الشرقية من السعودية، وهو الذي يقوم بإعداد نحو 60 في المئة من الخام السعودي وتجهيزه للتصدير، ومع ان الهجوم تم احتواؤه في المنطقة الخارجية من المجمع، ولم تتأثر به العمليات الإنتاجية ولا المرافق الفنية، إلا ان سعر البرميل سجل ارتفاعا ينحو دولارين، وذلك في رد فعل مباشر على أنباء الهجوم. فالسعودية لا تجلس فقط على ربع الاحتياطيات العالمية المؤكدة من النفط الخام، وإنما تتمتع بميزات أخرى تجعل أي لفحة برد تلحق بصناعتها النفطية تصيب بقية العالم بالزكام. وعلى رأس هذه الميزات ان كلفة استخراج برميل النفط في السعودية هي الأقل عموماً في العالم، وتتراوح بين دولار ودولارين للبرميل. وساعد على ذلك قرب المكامن من السطح، وضخامة مساحة الحقول والإنتاج، الى جانب الاستقرار السياسي والأمني. وهناك أيضا تعدد منافذ التصدير لديها على جانبي الخليج عبر مرفقي رأس تنورة والجبيمة، وعلى البحر الأحمر في ميناء ينبع. ثم ان الصناعة تحت السيطرة الحكومية الكاملة التي تديرها وفق استراتيجية خاصة، ومن ذلك الاحتفاظ الدائم بطاقة إنتاجية فائضة في حدود مليوني برميل يوميا على الأقل، وذلك للتعويض عن أي نقص في الإمدادات لأي سبب ومن أي مكان حول العالم، مثلما حدث عندما انقطع الإنتاج النفطي للعراق والكويت مطلع العقد الماضي، أو الإنتاج الليبي قبل عامين، أو تراجع الإنتاج الفنزويلي أو النيجيري لأسباب سياسية داخلية. وهذه الطاقة الفائضة تمثل عبئا ماليا لم تبد أي دولة منتجة أخرى، حتى روسيا مثلا التي تتجاوز صادراتها اليومية ما تقدمه الرياض للسوق، أو الشركات الكبرى أمثال أكسون موبيل، رغبة في تحمل. وهو ما جعل السعودية «المنتج المرجّح» في العالم، الذي يوازن الى حد كبير بين العرض والطلب. لذا فإن أي حادث إرهابي يؤدي الى إضعاف هذا الدور أو تقليصه، ستكون له انعكاساته السياسية والاقتصادية العالمية، ويمكن أن يدفع بسعر البرميل الى 250 دولارا أو أكثر كما يرى بعض المحللين، خاصة أن بعض المعلومات تشير الى أنه في الفترة ما بين عامي 2003 و2007، تم إحباط 180 محاولة إرهابية من قبل تنظيم القاعدة في السعودية.

80 حقلاً منتجاً وخمسة مليارات دولار سنوياً للحماية

ولهذا، فإن هناك مخاوف من حالة التركيز التي تقوم عليها الصناعة النفطية السعودية التي تتموضع بصورة رئيسية في المنطقة الشرقية جغرافيا، وتتوزع على 80 حقلا منتجا، ثمانية منها تضم معظم الاحتياطيات وعلى رأسها حقل الغوار، الذي يعتبر أكبر حقل نفطي في العالم. هذا الى جانب خطوط أنابيب بأطوال تصل الى 11 ألف ميل.

والمخاوف لا تقتصر على العمليات الإرهابية التقليدية، وإنما تشمل أيضا احتمالات ما يطلق عليه بسيناريو «بيرل هاربور الكترونية»، وذلك في إشارة الى الهجوم الإلكتروني على بعض المواقع الخاصة بشركة أرامكو في أب/أغسطس من العام الماضي، نتج منها توقف نحو 30 ألف جهاز حاسوب في الشركة عن العمل. لكن ذلك الهجوم لم يصل الى الحواسيب المرتبطة بالعمليات الإنتاجية، وبالتالي لم يحدث تأثير يذكر. الهجوم اعتبر الأكبر من نوعه الذي يوجه ضد منشأة مفردة، قامت به مجموعة أطلقت على نفسها «السيف القاطع للعدالة». وقالت المجموعة انها تحصلت على بعض الوثائق من هذه العملية ستقوم بنشرها، إلا ان ذلك لم يحدث. وبعد بضعة أشهر، قال أحد المسؤولين في أرامكو ان الهجوم كان يستهدف وقف الإنتاج وانه تم تنسيقه عبر مجموعات تعمل في أربع قارات، ما يشير الى وقوف قدرات دولة واحدة على الأقل خلفه، ولو انه لم يتم توجيه اتهام رسمي الى جهة محددة. بعض التحليلات أشارت الى ضلوع إيران في ذلك الهجوم التقني، الأمر الذي يعطي بعدا إقليميا للمخاطر على الصناعة النفطية السعودية، والمواجهات بين البلدين على مختلف المستويات ليست بالأمر الجديد. ففي أواخر العام الماضي، أرسل مندوب السعودية لدى الأمم المتحدة عبد الله المعلمي، رسالة الى الأمين العام للمنظمة بان كي مون، يشير فيها الى قيام إيران باختراقات عسكرية جوياً وبحريا فوق بعض المنشآت النفطية السعودية، وان الرياض تحتفظ بحقها في الرد.

(من مرحلة 1980ـ2000)

اهتمت السعودية بقضية تأمين صناعتها النفطية منذ وقت مبكر. ووفقا للباحث السعودي في الشؤون الأمنية، نواف عبيد، الذي عمل في عدة مواقع بحثية غربية، فإن مخاطر هجوم إرهابي على المرافق النفطية تظل «متدنية»، وذلك لأنه على مدار الساعة هناك قوات من 30 ألف رجل أمن يحرسون هذه المنشآت، الى جانب الرقابة التقنية والطائرات التي تحلق باستمرار والمسنودة بدفاعات مضادة للطائرات. ويضيف انه منذ عامي 2003 و2004، أضيف مبلغ 750 مليون دولار الى ميزانية تأمين هذه المرافق التي تتراوح بحدود خمسة مليارات دولار سنويا.

وفي العام 2009، تقرر تأسيس قوات خاصة بأمن المنشآت النفطية، تم اختيار عناصرها بعناية فائقة، وأوكل أمر قيادتها وقتها الى الأمير محمد بن نايف الذي كان مساعدا لوزير الداخلية وتولى مقعد الوزارة في ما بعد. وهي قوة منفصلة عن الجيش النظامي والحرس الوطني، وتعتبر قوات خاصة بتدريبها الذي يعدف الى جعلها ذات كفاءة قتالية عالية ويشمل إعدادها أيضا استخدام الميزر والقدرة على قراءة الصور الخاصة بالأقمار الصناعية وكيفية إدارة الأزمات. وتقوم شركة لوكهيد مارتين الأميركية بعمليات التدريب. والهدف أن تبلغ هذه القوة 35 ألف عنصر، وذلك عبر استكمال تأهيل ثمانية آلاف كل عام على الأقل. وتحل هذه القوة الجديدة محل الحرس القديم الخاص بشركة أرامكو وقوات الحرس الوطني التي كانت تساعد أرامكو على تأمين منشآتها النفطية.

تعايش الصناعة النفطية والمهددات الامنية

على كل، ستظل الصناعة النفطية جاذبة للاستثمارات، رغم المخاطر السياسية والأمنية التي تحيط بها. وكونها في مناطق نائية تجعل من توفير الحماية لها كل وقت أمرا صعبا، لأنها ببساطة تنطبق عليها القاعدة الاقتصادية الذهبية القائلة انه بقدر المخاطر تكون العوائد. وكلما كانت المخاطر عالية جاءت العائدات مرتفعة، وتستمر الشركات في العمل. ولهذا، فكل ما تفعله الشركات النفطية الأجنبية العاملة في أقطار أخرى، هو توفير المزيد من التحوطات والترتيبات الأمنية، إما وحدها كما في نيجيريا مثلا، أو بإيكال الأمر لسلطات البلد المعني كما في الحالة الجزائرية. وتستمر الأمور في وتيرتها المعهودة. وعقب حادث عين أميناس الجزائري، قالت شركة بيرتامينا الإندونيسية انها ستستمر قدما في خططها بشراء حصص في ثلاثة حقول جزائرية كانت قد أكملت اتفاقيات مبدئية بشأنها مع شركة كونوكو فيليبس الأميركية العاملة هناك، وذلك بمبلغ يزيد على مليار ونصف المليار دولار. وهو ما يؤكد حقيقة تعايش الصناعة النفطية مع المهددات الأمنية. ومع انه لا يمكن الجزم بوجود تأمين كامل، ولو بطريقة شاملة، للصناعة النفطية لا يمكن اختراقه، إلا ان التنبه السعودي المبكر لهذا الجانب، واتخاذ العديد من الإجراءات بسبب حساسية وضعية السعودية كمركز رئيس لصناعة النفط العالمية، قلل من المخاطر الأمنية. لكن الاحتمال يبقى قائما لجهة تنامي وتشرذم المجموعات المسلحة، وتحركها وفق أجندة محلية.

السر سيد أحمد

كاتب صحافي من السودان مختص بقضايا النفط

اقتصاد الدول العربية من زاوية صندوق النقد الدولي

تبدأ السفير العربي بنشر رصد دوري لسلوك صندوق النقد الدولي في المنطقة. الوقائع والأحداث والتصريحات وما يتسرب من المفاوضات... ولا يقصد الرصد التحليل، ولا تقديم استنتاجات، بل توفير المعلومة، وهي غالباً غائبة وسط ركام ما ينشر... أو لا ينشر.

يتجول منذ بداية هذا العام موظفو صندوق النقد الدولي بشكل متواصل في أنحاء العالم العربي ويرفعون التقارير عن الأحوال الاقتصادية لدوله والتوصيات عن جدوى منحها القروض.

تقارير صندوق النقد الدولي

تشير هذه التقارير إلى أن الدول الأربع غير النفطية، أي الأردن والمغرب وتونس ومصر تعاني تقريباً من مشاكل متشابهة، وهي تتلخص بـ:

1. عجز كبير في ميزانية الدولة: الأردن 11 في المئة، المغرب 10 في المئة، تونس 9 في المئة، ومصر 10 في المئة. يعود هذا العجز بحسب تقارير الصندوق إلى ارتفاع المعونات والمساعدات في قطاعي الطاقة والغذاء. وتذهب تلك التقارير أبعد من ذلك، إذ تجعل من تلك المسألة مشكلة، حتى بالنسبة للدول النفطية أي الجزائر وليبيا، إلا ان الصندوق يعترف أيضاً ان السبب الثاني للعجز يكمن في انخفاض الداخيل الضريبية/الجمركية نتيجة العولمة الليبرالية وفتح الحدود لاستيراد البضائع بتعرفة جمركية مخفضة.

2. عجز كبير في الميزانيات التجارية يتراوح بين 4 في المئة من الدخل القومي في تونس و19 في المئة في الأردن. ويعود هذا العجز، حسب تقارير الصندوق، إلى فقدان القدرة التنافسية بالرغم من انخفاض قيمة عملات كل تلك الدول، والى انخفاض الطلب من الدول الأوروبية التي تعاني من أزمات اقتصادية. أما الاستيراد في تلك الدول فيبقى مرتفعاً نتيجة انخفاض التعرفة الجمركية.

3. بطالة مرتفعة في كل تلك الدول، تترافق أحياناً مع تضخم في الأسعار في مصر.

4. معدل لصرف عملة ثابت، لا يسمح بالتالي ينظر الصندوق بتعديلات سريعة للاقتصاد عند وقوع الأزمات.

5. دين قطاع عام يرتفع بسرعة بعد ان كان منخفضاً نسبياً.

الحلول حسب صندوق النقد الدولي

بحسب تقارير صندوق النقد الدولي، فإن حل مشاكل الدول غير النفطية وبعض الدول النفطية يكمن في الإجراءات التالية:

1. وقف المساعدات والدعم الحكومي تدريجياً لقطاعات الطاقة والغذاء. ويشيد الصندوق بالأردن الذي استطاع ان يرفع سعر البنزين 6 في المئة، ويدعو إلى المزيد في هذا الاتجاه.

ويخصص الصندوق في تقريره عن ليبيا، تحليلاً طويلاً ليبرر حث الحكومات على إنهاء الدعم الحكومي، ينتلخص بالتالي: ان الدعم لليبنزين يفيد بشكل أساس الأغنياء أكثر من الفقراء، لأن الأوائل هم كبار المستهلكين. يضاف إلى ذلك ان التخفيض الاصطناعي للأسعار، يؤدي بالضرورة إلى استعمال أكبر للطاقة عبا لو كان السعر «طبيعياً»، وهو بالتالي هدر لطاقة البلاد، أي ان الدعم الحكومي غير منصف وغير مجد.

2. التعويض على الفقراء من خلال المساعدات والإعانات المباشرة، وأيضا من خلال الاستثمار في القطاع الصحي والتعليمي... ولا تتطرق التقارير إلى ان هذين القطاعين بدأت خصخصتهما في الكثير من البلدان.

3. تجميد أجور القطاع العام وتخفيض عدد الموظفين، بحيث يتم تخفيض المصاريف الحكومية وتقليص أهمية القطاع العام في الدخل القومي.

القروض

نتيجة هذه التقارير، ومعاينة ما استطاعت الحكومات تنفيذه من الحلول التي يقترحها صندوق النقد، منح هذا الاخير القروض التالية:

المغرب 6,1 مليار دولار

تونس 1,7 مليار دولار

الأردن 1,9 مليار دولار

وهي قروض مدة سنتها حوالي الستتين.

يجدر بالذكر ان الجزائر وليبيا لم تطلبا أية قروض، وان الدولة الوحيدة التي لم تحصل على أية قروض حتى هذه الساعة هي مصر بالرغم من كل الزيارات والتقارير الإيجابية، وآخرها بتاريخ 6 حزيران/يونيو 2013، رغم «تقدير الصندوق للجهود الذي قام بها رئيس الوزراء». ويبدو سخاء الصندوق مع الأنظمة الأخرى وكأنه تعبير عن رضا سياسي أكثر مما هو اقتصادي، إذ أن الأنظمة التي حصلت على القروض، أي المغرب والأردن وتونس، لم تتمكن من إجراء التعديلات البنيوية اللازمة بل بقيت مقصّرة، كما هو حال مصر. وفي حين لم تتلق مصر القرض المأمول من الصندوق، فهي استقبلت ما يقرب من ثلاثة أضعافه، إلا قليلا، فور عزل مرسي، تشجيعاً من السعودية والامارات والكويت لخطوة التخلص من الاخوان.

يستتبع ذلك ملاحظة ثانية، وهي ان الأردن هو البلد الوحيد الذي استطاع ان يرفع سعر البنزين ويخفض الدعم بنسبة 6 في المئة، إلا انه فعل ذلك بعد ان رفض الاعلان بشفافية عن هذه الاستراتيجية كما طلب منه الصندوق، بمعنى آخر فالأردن استطاع ان يمرر خلسة قسماً صغيراً من حلول الصندوق.

أخيراً، يجدر بالذكر ان ما قد ينطبق على البنزين لا ينطبق بالضرورة على الغاز والمواد الغذائية المستحلكة من قبل الشعب. بل أكثر من ذلك، فإن البنزين في بلدان لا تعتمد إلا قليلا على المواصلات العامة، ليس بالضرورة مادة مقصورة على الأغنياء.

في النهاية يبدو من خلال تلك التقارير أن الدول العربية غير النفطية لم يعد لها أي حيّز من الإستقلالية الإقتصادية، وهي بحاجة «بأي ثمن» لقروض صندوق النقد و/أو أموال الخليج.

شبل السبع

أستاذ الاقتصاد في جامعة السوربون ـ باريس

عاشور

الزاوية الحمراء

في خطابه قبل الأخير، عبّر محمد مرسي عن كون الغضب ضده وضد حكومته مفتعلا، واتهم شخصين بالتحديد، هما عاشور وفودة، بتأجير البلطجية للمساهمة في احداث الفتنة. تابع المشاهدون هذا وسخروا منه، ثم نُسي كل شيء كالعادة. نحن الآن في شهر رمضان الفضيل، مقدم برنامج التوك شو الشهير يتلقى تليفوناً:

– ومعانا اتصال تليفوني. ألو.

– سلامو عليكو.

– وعليكم السلام. أيوه يا فندم. عرفنا بنفسك.

– أنا عاشور يا بيه.

– أهلا وسهلا بحضرتك يا أستاذ عاشور.

– يا بيه انا عاشور بقولك. عاشور اللي سيادة الريس اتكلم عنه.

يا بيه انا جايلي أمر ظبط واحضار، سيادة الريس طلعهولي ومعرفتش اعمل ايه.

– وانت فين يا عاشور دلوقتي؟

– انا بتكلم من عند واحد صاحبي سعادتك. والله العظيم انا مش عارف سيادة الرئيس محمد مرسي زعلان مني ليه يا بيه. دانا والله مجدد الرخصة بتاعة العربية ومعايا البطاقة وكله سليم.

– طيب وانت رسالتك ايه دلوقتي يا عاشور؟

– يا بيه انا من ساعة الريس ما كشفني قدام الناس، ايوه يا بيه، غلطت، مانا إنسان يا بيه، هو الإنسان ده جماد؟ الولا سيد بقى يخطف الزباين مني ويركبهم الميكروباص. ودور والتاني وانا ساكتله، جبت اتنين بلطجية وضربوه، وف الآخر رحت اتأسفت له وطيبت بخاطره. خلاص بقى يا بيه غلطة وندمان عليها، يقوم سيادة الرئيس يفضحني كدا قدام الناس؟ هو دا اسمه كلام يا بيه؟

– ايوه يعني انت عاوز تقول ايه يا عاشور دلوقتي؟

– يا بيه انا عاوزكو تتأسفو لسيادة الريس وتقولوله اني ماعدتش اعملها تاني. اصلي يا بيه من ساعتها وانا مستخبي عند جماعة صحابي، جماعة م البلد كده، ناس طيبين اوي، والله ما اقصد حاجة وحشة، بس يعني الواحد حس نفسه تقيل عليهم، وباسيب بيت وباروح لبيت، وبعدين انا، مانا ليا بيت وعيال يا بيه، عايز اروح اتطمن عليهم وافطر معاهم، والنبي يا بيه، لجل خاطر النبي، تقولوا لسيادة الريس مايزعلش مني. والله العظيم انا مش عاوز الريس زعلان مني. دانا والله بحبه يا بيه.

– بس الريس مشي يا عاشور

– مشي راح فين يا بيه؟

– مشي يا عاشور. محمد مرسي مبقاش رئيس الجمهورية.

– والنبي صحيح يا بيه! مشي يعني مشي يا بيه؟ يعني مابقاش.. يعني.. الهي يطمنك يا بيه زي ما ط.. دا انا مراتي، مراتي يا بيه، دا الولية قعدت تدعي عليه كل يوم، (ضحكة هستيرية) ياما انت كريم يا رب.

العربي السفير

متابعات

570 مليون دينار (حوالي 7 ملايين دولار) رصدتها وزارة التضامن والأسرة في الجزائر لدعم الفئات المعوزة ومكافحة ظاهرة التسول المتزايدة في رمضان. والمبلغ مرصود لأكثر من 1.5 مليون محتاج، أي بمعدل 4.6 دولارات للفرد (!)يمنحون «فقة رمضان»، وهي عبارة عن مواد غذائية أساسية. كما قررت الحكومة فتح 795 مركز إفطار لإطعام عابري السبيل والمعوزين والأشخاص الذين من دون مأوى.

في بلدان الخليج العربية
المكرمات أداة للحكم وتنظيم المجتمع

حين كان أمير قطر الجديد ولياً للعهد ونائباً لأبيه، أصدر أوامره في أيلول/ سبتمبر 2011 بتوزيع عدة «مكرمات»، تضمنت رفع الرواتب الأساسية والعلاوة الاجتماعية والمعاشات للموظفين والمتقاعدين القطريين من المدنيين والعسكريين. وبموجب تلك «المكرمات»، ارتفعت رواتب موظفي الدولة المدنيين بنسبة 60 في المئة. وزفعت رواتب ضباط الشرطة والقوات المسلحة بنسبة 120 في المئة. وكانت الزيادة لأصحاب الرتب العسكرية الأدنى 50 في المئة. قدر باحثون كلفة مكرمات ولي العهد الصادرة في ذلك اليوم بما يزيد على ثمانية مليارات دولار أميركي في السنة الأولى. والآن، وبعد تنحي والده عن الحكم، ينتظر القطريون مكرمات أميرية أخرى بمناسبة عيد الفطر تتناسب مع منصبه الجديد، بحيث لا يقل حجمها واتساع المستفيدين منها عن مكرمته قبل عامين.

الرشوة والهدية والمكرمة

تختلف المكرمة من منظور اجتماعي/ سياسي عن كل من الرشوة والهدية. إلا إن فيها بعض ملامحهما وتداخلهما. فالرشوة تؤسس لعلاقة تقوم على تبادل المنافع بين الراشي والمرتشي. فهذا يدفع بدلاً مثلاً مقابل تسهيلات إدارية أو سياسية. وهي في الأعم الأغلب علاقة سرية يجهد طرفاها في إخفائها وحتى التنصل منها. والهدية في الأصل تؤسس لعلاقة تبادلية مادية بين من يقدم الهدية ومن يقبلها علاوة على قهم مشترك بأن قبول الهدية يعني، ضمناً، التعهد بالرد عليها بهدية منلها أو أحسن منها. أما المكرمة فهي فعلٌ معلن في الغالب، ومصدر فخر للمنحها دون أن تكون في الوقت بمحبة لمستلمها. أما العلاقة التبادلية التي تتولد عن تقديم المكرمة واستلامها، فلا تتضمن تعهداً بردها بمثلها أو بأحسن منها، بل بتقديم الشكر والعرفان. والإقرار بفضل صاحب المكرمة. من جهة أخرى تتشابه المكرمة مع الرشوة والهدية في إنهما جميعاً تربط المعطي والمتلقي بعلاقة تراتبية تفرض تبعات على المتلقي لصالح المعطي.

«من لا يشكر الناس لا يشكر الله، لذلك وجب الشكر لولاة الأمر»

تعزز «المكرمة» العلاقة بين ولي الأمر، ملكاً أو سلطاناً أو أميراً، ورعيته، وهي تعبر عن اهتمامه بشؤون رعيته حين يتابع أوجه الخلل في أداء الأجهزة الحكومية ويعمل على اتخاذ القرارات المناسبة. ازداد الاعتماد في بلدان الخليج على المكرمات كأداة للتحكم في توزيع الثروة، وكأداة للتحكم في المجتمع وفي مسارات تغيره. إلا أننا نقرأ بين الحين والآخر أن ملكاً أو سلطاناً أو أميراً أعلن إنه لا يستسيغ أن تُطلق كلمة «مكرمات»على ما يقوم به من مبادرات لتلبية احتياجات الشعب ومساعدتهم على الاستمتاع بحياتهم في ظل حكمه. بل ولا يتحرج حكام المنطقة من وضع اللوم على العاملين في الإعلام لأنهم هم من يسمون المبادرات مكرمات، بينما يعتبرونها هم واجباً من واجباتهم. إلا إن أحداً لا يصدق أحداً من حكام المنطقة حين يعلن عن تعففه شخصياً عن استخدام كلمة «المكرمات» بينما تبقى هي الكلمة المعتمدة في البيانات والمراسلات الرسمية. وهو استخدام لا ينحصر في ما يعلق بزيادة الرواتب بنسبة 60 في المئة و 120 في المئة. كما شهدنا في قطر، بل يشمل حصول المواطن على وظيفة أو تعويض بطالة أو علاج صحي أو استرجاع جواز سفر تمت مصادرته.

تماهي العائلة الحاكمة والدولة

تشكل «المكرمة» تحدياً حقيقياً لدارسي العلاقة بين السلطة السياسية والمجتمع في بلدان الخليج العربية. فلا يوجد في هذه البلدان من يستطيع أن يدّعي أن المكرمة التي يحصل عليها هي حق طبيعي من جملة حقوق يستطيع أن يطالب بها أو أن يلزم ولي الأمر بتوفيرها له . فالكرمة ليست حقاً ولا استحقاق. وهي لا تعطي لمن يحصل عليها حق المطالبة باستمرارها أو انتظار الحصول عليها بشكل دوري أو منتظم. المكرمة هي حق مطلق لولي الأمر فأن شاء منح وإن شاء منع .

تتداخل الدولة ومؤسساتها مع العوائل الحاكمة في بلدان الخليج في وحدة عضوية تتشابه نتائجها رغم اختلاف جذورها التاريخية. ولقد إزداد عمق هذا التداخل مثذ الطفرة النفطية في وسط السبعينيات من القرن الماضي. بسبب سيطرة تلك العوائل الحاكمة على الموارد النفطية وغيرها من موارد البلدان التي تحكمها. وكذلك بسبب نجاحها في احتكار جميع أدوات ممارسة السلطة، بما فيها الجهازان القضائي والتنفيذي، والمؤسستان الأمنية والعسكرية. يوفر هذا كله للعوائل الحاكمة هامشاً واسعاً من الإستقلالية لا يتوافر لغيرها من الفئات الحاكمة في البلدان العربية الأخرى. فكل عائلة حاكمة في بلدان الخليج ترى نفسها فوق المجتمع الذي تحكمه، وخارجه في الوقت نفسه. فهي لا تعتمد على المجتمع من اجل بقائها بل ترى نفسها ضامنة لبقاء المجتمع وحامية لتماسكه. وبحدّاً تبرر العائلة الحاكمة احتكارها لسلطة توزيع موارد البلاد وتحديد نوعية الخدمات التي تموّلها الأجهزة الحكومية وتحديد الفئات المستفيدة من تلك الخدمات.

تنوع المكرمات وتعدد قنواتها

يختص الملك أو السلطان أو الأمير بتقديم المكرمات الكبرى، من قبيل بناء المشاريع الإسكانية أو رفع الرواتب وتخفيض العقوبة على المحكوم عليهم بالسجن مثلاً. إلا إننا صرنا نشهد اتساع المجال لمشاركة آخرين من كبار رجال ونساء العوائل الحاكمة، في ما عدا سلطنة عمان، في توزيع المكرمات حسب سلم تراتبي لا يعرف تفاصيله أحدٌ خارج العائلة الحاكمة نفسها. ونجد بيانات رسمية تعلن عن مكرمات أمرت بها زوجة الحاكم أو أحد أولاده أو إحدى بناته أو ولي عهده أو زوجة هذا وأبنائه وبناته. يتكرم أمير «علاج مريض وتُوجّه أميرة بإدخال عجوز إلى دار رعاية أو توسلها في بعثة حج. ولا تقتل مشاركة الزوجات والأبناء والأحفاد من القيمة السياسية/ الاجتماعية لهذه المكرمات التي لا يتأخر الإعلام الرسمي عن نشر تفاصيلها لتأكيد سخاء العائلة الحاكمة واهتمامها الدائم بالناس. إلا إن لمشاركة آخرين من كبار رجال ونساء العوائل الحاكمة في توزيع المكرمات أبعاداً سياسية إضافية. إذ تعكس تلك المشاركة حالة التنافس على النفوذ والصيت بين أجنحة كل عائلة حاكمة. ففي حين لا يجرؤ أحد في العائلة السعودية الحاكمة في عُمان على منافسة سلطانها، يتولد عن التنافس العائلي حكايات سريالية في بلدان مثل الإمارات والسعودية والبحرين.

من جهة أخرى لا تنحصر المكرمات في تلك التي تصل مباشرة من الملك أو السلطان أو الأمير إلى رعاياه. فهناك مكرمات يتولى توصيلها الوجهاء الذين تصطفيهم العائلة الحاكمة. فبتكليفهم بهذا الدور تضمن العائلة الحاكمة ولاء الوجهاء التقليديين من تجار ورجال دين، علاوة على وجهاء الحداثة من كبار الموظفين وقيادات المجتمع المدني. توفر هذه العلاقة للعائلة الحاكمة الخليجية سلطة واسعة تستخدمها لدعم نفوذ الوجهاء بتقديم المكرمات عن طريقهم، أو إضعاف ذلك النفوذ بحرمانهم من شرف الوساطة بين العائلة الحاكمة والناس. فمن طريق استخدامها لسلطاتها في توزيع المكرمات في هيئة وظائف أو تسهيلات مالية أو هبات عقارية، تتمكن العوائل الحاكمة من إعادة تدوير شريحة الوجهاء وإبقاء أفرادها في قلق مستمر لا يخفف منه سوى التنافس مع الوجهاء الآخرين على تأكيد استمرار الولاء للعائلة الحاكمة.

المكرمة بدلا من استحقاقات المواطنة

يجري الإعلان عن كل مكرمة حين صدورها، ويتم توثيقها بدقة لتسهيل تحقيق الأهداف المتوخاة منها وبخاصة تكريس تبعية المتلقي للمانح ، تبعية الرعية للراعي الذي يقرر متى يعطي وكم يعطي ولمن. كما يسهم تذكير الناس بشكل دوري بالمكرمات المالية في تأكيد سخاء العوائل الحاكمة. علاوة على تكريس مبدأ أن ما تقدمه الجهات الحكومية من خدمات ليست واجبات مفروضة عليها أو حقوقا للمواطنين بل هي سلسلة مكرمات يتكرم بها ولي الأمر على رعاياه. ولا تفيدنا الإشارة هنا إلى ما تتضمنه دساتير البلدان الخليجية عن حقوق المواطن فبها.

لا تحتم العوائل الحاكمة في بلدان الخليج بالصورة السلبية التي يعكسها استخدامها للمكرمات كأداة للحكم ولتنظيم المجتمع. وهي لا تعير بالاً لانتقادات توجه لها بسبب استناد شرعيتها على قدرتها على شراء الولاء عبر توزيع المكرمات على الناس أو التعديد بحرمانهم منها. بل إن الأمثلة العديدة تشير إلى إنها تفضل التعاطي مع مواطنيها كرعايا بدلا من قبول تحولهم إلى مواطنين. فالعوائل الحاكمة ترى أن الكلفة المالية للمكرمات أقل بكثير من الكلفة السياسية المتوقعة من تحول الرعايا إلى مواطنين.

عبد الهادي خلف
أستاذ علم الاجتماع السياسي في جامعة لوند . السويد. من البحرين

حلـــم .. يوسف عبدلكي (مرحلة السبعينيات)

arabi.assafir.com

- عن ثقافة الاصلاح ـ مجد كيال
- صحراء النقب ليست قاحلة ـ حنين نعامنة

يستقبل الموقع مساهماتكم وتعليقاتكم واقتراحاتكم.
- تابعونا على «فايسبوك»: السفير العربي ـ Assafir Arabi
- تواصلوا معنا على «تويتر»: @ArabiAssafir

.. بألف كلمة

عبّاس يوسف ـ البحرين

على مدخل مرسم يوسف عبدلكي في دمشق

مدونات

من حقّ الإنسان...

«من حقّ الإنسان ألا يرد على مكالمات الهاتف المحمول. من حقّ الإنسان أن يكونَ كائناً غير اجتماعيّ وأن ينْزَع إلى العُزلة. من حقّ الإنسان أن يرفع دعوى محاولة اغتيال على من يبادره بعبارات من قبيل: «أريدك أنت تكون مثل فلان». من حقّ الإنسان أن يفضّل قراءة الكتب على المشاركة في الأحاديث النّمطية. من حقّ الإنسان أن يرفض تسمية الموسيقى النبيلة بالكلاسيكية، ومن حقه أن يصرّح بحبّه لها من دون أن يُجابه بتعليقات استثنائية من نوع: «هل أنت مجنون؟». من حقّ الإنسان أن يبحث عن الحداثة في بعض القديم وأن يعثر على سبب التقهقر في بعض الجديد. من حقّ الإنسان أن يكون يهودياً دون أن يعتقد أنه الأفضل. من حقّ الإنسان أن يكون ألمانياً من دون أن يُسأل عن رأيه بهتلر. من حقّ الإنسان أن يكون عربياً من دون أن يكرّس نصف حياته لتقديم شهادات حسن سلوك. ومن حقّه أن يكون مسلماً من دون أن يضطرّ لتفسير ما جرى يوم 11 أيلول / سبتمبر. من حقّ الإنسان أن يتّهم اليمينيين المتطرّفين بالهمنسرية، وخاصّةً إذا كانوا يساريين.
من حقّ الإنسان أن يدافعَ عن حقّه بالحياة وليس فقط بالوجود».

من مدونة «كبربت» السورية (11 تموز / يوليو 2013)
http://www.kebreet.net/

عن تهجير أهل النقب

«ربما ليس في الأمد القريب، لكن في الأمد المتوسط أو البعيد، سيتم الكشف عن أن الهدف من مصادرة الاراضي الفلسطينية في النقب في عام 2013، له علاقة مباشرة بما تم التخطيط له قبل ستين عاماً، أي في 1953، وما هو إلا تكملة للنكبة الفلسطينية وللحلم الصهيوني، وهو يندرج في مخططات تحمل أهدافاً ذات «مغطفات» متعددة تخدم المصالح المتشعبة لإسرائيل، كما ذكر دافيد بن غوريون وهي تشمل:

ـ نقل قسم من المستوطنين اليهود من سكان المستوطنات اليهودية في الضفة الغربية المحتلة لإيجاد شبه حل لشبه دولة فلسطينية.

ـ إكمال المشروع الإسرائيلي للمياه المسمى «هاميوفيل هارتسي» (النظام الناقل للمياه) الذي ينقل المياه من بحيرة طبريا الى جميع المراكز السكانية، بما في ذلك النقب.

3 ـ خنق فلسطينيي النقب في غيتو أو «باندوستان» مقلص، للتقاوض عليهم في إطار تبادل سكاني مع قطاع غزة وضمهم الى الدولة الفلسطينية المنبورة جنوباً، الامر الذي سيؤمن لإسرائيل الطريقَ ما بين البحر الاحمر والبحر المتوسط عبر البحر الميت، لخلق بديل لقناة السويس في الجهة الشرقية، وفقا لما لمح اليه بن غوريون (...)».

من مدونة «الرسالة من النقب» (21 تموز / يوليو 2013)
http://alrisalanews.wordpress.com/

ملاحظات غير بديهية

من أبسط مظاهر عدم الثقة في الحكومة الجزائرية: إقبال الناس على شراء المياه المعدنية من المحال عوض مياه الحنفية. ومن أبسط مظاهر عدم الثقة في المدرسة الجزائرية: إقبال الناس على الدروس الخصوصية (...).

الانتصارات العظيمة جميلة، كأن تشاهد فرحة ميسي بعد انتهاء مباراة لبرشلونة بفوزه بنهائي ما، وكيف يرقص جميع أفراد الفريق ويرشّون بعضهم بـ «المياه الغازية» التي لا تُعتبر حلالاً جداً في ديننا الحنيف. أو أن تشاهد مطرباً شاباً وهو يبكي محتفلاً بافتكاكه المرتبة الأولى في برنامج من برامج المواهب. أن تشاهد فريقاً من المهندسين والخبراء والتقنيين في مركز للابحاث الفضائية يتطايرون فرحاً بعد وصول سفينتهم إلى الوجهة المرتقبة.

هل تعلم ما هو أجمل؟ تلك الانتصارات الصغيرة التي قام بها أشخاص عاديون، ليسوا مشاهير ولن يصبحوا يوماً، تلك الفرحة البسيطة عندما ينتصر أحدهم على عادة إدمان قص أظافره بأسنانه كلما توتّر، أو نجاح أحدهم في افتكاك وظيفة ما بعد عناء طويل (...). أن تصلح تلفازاً أو مذياعاً أو باباً تم تجزيه فيعمل.. هذه النجاحات البسيطة لديها طعم جميل تخفف عن الواحد منّا شيئاً من متاعب الدهر».

من مدونة abdnormal الجزائرية (12 حزيران / يونيو 2013)
http://www.abdnormal.com